



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Prof. Dr. Hamed
Hamza Hamad

Wasit University
College of Arts

Email:

haldulaimy@uowasit.edu.iq

Keywords:

awareness, history,
philosophy, events,
eternal return, divine
providence, the
beginning of history

Article info

Article history:

Received 5.JUL.2023

Accepted 7.AUG.2023

Published 20.NOV.2023



Early Historical Awareness in Greek Philosophical Thought Before Socrates

A B S T R A C T

In spite of the variety in their contents and methods of addressing different topics, the nature of managing events through poetic drama in the poems of Homer and Hesiod indicates that the Greek poets were fully acquainted with and aware of the historical events (their causes, triggers, goals and purports).

Homer was aware of history when he immersed existence in the cycles of time, and when he talked about the cycles of history, the eternal return, and divine providence as much as Hesiod did when he referred to many signs of awareness of history and elaborated on the origin of the gods and their ancestral lineages, which for him represented the beginning of creation on earth, (i.e. the beginning of history). By the same token, the latter's notion of the five generations represented the stages of the development of history over time. In a similar vein, their ideas about the logical sequence of historical events expressed their awareness of the significance and goals of history.

Homer, Hesiod, and the philosophers who followed them showed the cognitive aspect of human life in all its forms, although their thinking was mediating reality and imagination as that sort of thinking was expressing the first perceptions of logical and philosophical thinking, rather it was the cornerstone of it. This was clear to all those philosophers or scholars who followed them in time who managed to lay the scholarly foundations of thinking and build philosophical and historical trends that are still well established to this day.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol53.Iss1.3637>

بواكير الوعي التاريخي في الفكر الفلسفي اليوناني قبل سقراط

أ.د. حامد حمزة حمد
جامعة واسط / كلية الآداب

خلاصة البحث:

لقد كانت طبيعة ادارة الاحداث من خلال الدراما الشعرية في قصائد هوميروس وهزيود وان تنوعت مضامينها واساليب تناولها للموضوعات المختلفة التي كانت محتوى تلك القصائد ،تدل على ان الشعراء اليونان كانوا على دراية تامة ووعي بالأحداث التاريخية (اسبابها وعللها ومن ثم اهدافها وغاياتها) .

لقد كان هوميروس واعيا بالتاريخ حينما كان يزج بالوجود في دورات الزمن ،وعندما يتحدث عن دورات التاريخ والعود الابدي والعناية الالهية ،كذلك هزيود الذي كان يشير الى الكثير من معالم الوعي بالتاريخ حينما تحدث عن اصل الالهة وانسابها التي تمثل عنده بداية الخلق على سطح الارض،(أي بداية التاريخ)، كما كانت فكرته حول الاجيال الخمسة تمثل مراحل تطور التاريخ عبر الزمن ،فضلا عن افكارهم حول التسلسل المنطقي للأحداث التاريخية ،مما يعبر عن وعيهم بمغزى التاريخ وغاياته.

لقد اظهر هوميروس وهزيود والفلاسفة اللاحقين لهم الجانب المعرفي في الحياة الانسانية بكل صنوفه، على الرغم من ان تفكيرهم كان يتوسط الواقع والخيال، لان ذلك التفكير كان يعبر عن التصورات الاولى للتفكير العلمي والفلسفي ،بل هو حجر الاساس له، وقد كان ذلك واضح عند كل من جاء بعدهم من الفلاسفة او العلماء اللذين تمكنوا من وضع الاسس العلمية للتفكير وبناء اتجاهات فلسفية وتاريخية مازالت راسخة الى يومنا هذا.

كلمات مفتاحية (الوعي ، التاريخ ، الفلسفة ، الاحداث ، العود الابدي ، العناية الالهية ، بداية التاريخ) .

المدخل :

يعد هوميروس وهزيود من اوائل الشعراء اليونان اللذين ادركوا اهمية التاريخ وكانت نتاجاتهم الشعرية المعبر عنها بصورة ملحمية احتوت على احداث كثيرة كان اهمها حروب طروادة ،بكل تفاصيلها التاريخية والسياسية(هوميروس ،الابلياذة ،ص ٣٠)، فضلا عن الاحداث الاجتماعية التي مر بها المجتمع اليوناني آنذاك والتي جسدتها قصائد اولئك الشعراء ، منها ما يتعلق بالجانب الديني واخرى بالجانب السياسي والاقتصادي ،وكل تلك الاحداث كانت تصور بطريقة يمتزج بها الواقع بالخيال، وفي بعض الاحيان لا تخلو من لمحات فلسفية حاول من خلالها هوميروس وهزيود اظهار الجانب المعرفي الذي يتوسط الواقع والخيال في تدوين الاحداث التي مربها المجتمع اليوناني آنذاك ،ومن الطبيعي ان يكون تفكير هوميروس بهذا الشكل لأنه مثل التصورات الاولى للتفكير الانساني التي من خلالها تم وضع اسس التفكير العلمي والفلسفي لاحقا ،حين اظهر الفلاسفة فيما بعد قدرة فائقة على بناء اتجاهات فكرية وفلسفية وتاريخية مازالت راسخة الى يومنا هذا، لا تخلو من اواصر صلة بصورة او بأخرى مع افكار هوميروس وهزيود .

لقد احتوت الاحداث التي شكلت اساطير (هوميروس وهزيود)، التاريخ والجغرافية والدين والسياسة والاقتصاد وركزت كثيرا على الجانب العسكري بكل ابعاده (كما في الابلياذة)،من افتعال الاحداث والاسباب الموجبة للفعل الانساني(الغزو)،ثم الاعداد والتجهيز وخوض المعارك والاستعانة بالآلهة(العناية الإلهية) وغيرها في اشعار الحرب ، كما اشارت تلك الاشعار

الى فكرة العلية والسببية في حركة الاحداث ،وفكرة خلق الالهة والبشر ،كذلك اشارت الى اصل الالهة وأسبابها التي تمثل بداية الخلق على سطح الارض (بداية التاريخ)، كما تمثلت فكرة مراحل التاريخ في الاجيال التي اشار اليها هزيود (الاجيال الخمسة)، والتي تمثل مراحل التطور التاريخي ،فضلا عن ان فكرة تسلسل الاحداث التاريخية بطريقة منظمة تدلل على وعيهم بمغزى التاريخ .

لقد استخدم الانسان في الماضي مصطلحات كثيرة تدل على معنى التاريخ ،مثل الوقت ،الزمن ، القديم ، الحادث ، الازلي ، وقد سبق استخدام هذه المصطلحات احساس الانسان بأهمية التاريخ للبشر من خلال الاستفادة من حكمة وعبرة احداثه .ولقد وجدنا عند قدماء اليونان ان مصطلح الزمان يعبر بصورة واضحة عن التاريخ من خلال تصورهم ان الزمان والذي هو بمفهومنا اليوم احد اركان التاريخ الثلاثة مضاف الى (الانسان والمكان)، عبارة عن قوة طبيعية والهيئة ،كان لها دور مهم في ظهور الاشياء (الالوسي، الزمان في الفكر الفلسفي الديني، ص ٤٢)، لذلك يعبر عنه بالذات الفاعلة ومصدر الموجودات ومدبرها (المصدر السابق والصفحة)، أي انه البداية للتاريخ على الارض (تاريخ الموجودات والاشياء)، من خلال دوره في تدبير ظهورها والعناية بها.

اما اول إشارة الى (المكان والانسان)، في الفكر الاسطوري القديم عند اليونان بوصفهما اركان التاريخ المكمل للزمان فقد وجدناه عند هوميروس في اشارته الى تقسيم مناطق الوجود بين ابناء كرونوس (الزمان)، الى اربعة مناطق (البحر ، السماء ، والارض، والظلام الدامس (هاديس))، واخذ كل واحد من اولئك الابناء المنطقة المخصصة له، باستثناء الارض التي كانت مشتركة بين الاخوة الثلاثة (كريم متى ،الفلسفة اليونانية ،ص ٢٠)، مما يدل على ان التاريخ لا بد ان يستكمل شروطه من خلال محركاته الثلاثة (الزمان ،المكان ، الانسان)، وكانت الاولى والثانية الهية تتعاون مع الانسان في الكثير من المواقف في صنع التاريخ .

١- مظاهر التاريخ في قصائد هوميروس .

يعد هوميروس اقدم شاعر يوناني جسد في اشعاره تاريخ اليونان القديمة، اشتهرت له قصيدتان (اللياذة والاذيسية)، وتعد تلك القصيدتان اول عمل فلسفي وشعري في التاريخ اليوناني القديم، عرض بطريقة شعرية ذات مسحة اسطورية واقع الحياة الاجتماعية للمجتمع اليونانية بكل تفاصيلها وحوادثها التاريخية ،وحاول من خلال تلك الاشعار بيان اهمية الوعي بالأحداث التاريخية من خلال الصورة الواقعية التي عبر عنها (كما اسلفنا)، بطريقة شعرية اختلطت بشيء من الاسطورة بقصد ادخال عنصر التشويق الى الاحداث التي شاركت فيها الآلهة الانسان جنب الى جنب في حياته العامة ،فناصرته في حوض المعارك وفي ايام الحرب ، وحمته وساعدته على تدبير شؤونه في ايام السلم .

لقد كانت اعمال هوميروس شاهد على التاريخ اليوناني القديم ،وقد تكون هي الاشارة الاولى لبدء التاريخ عند اليونان، ونقصد التاريخ المروي والمكتوب، لأن هوميروس اعتمد في الكثير من أحداث التاريخ المشار اليها في الملحمتين على روايات لأحداث سابقة كانت مادة تاريخية اساسية في كتابته للأحداث التاريخية التي تضمنتها تلك القصائد الشعرية ، وكان لتلك الروايات أثر واضح في الفكر التاريخي عند هوميروس ،خاصة في توظيفه تلك الروايات القديمة في ادارة الاحداث التي عاشها او افتعلها لإغناء اخباره عن الماضي وادارة الحاضر من خلالها . وفضلا عن الروايات التي تتناقل على السنة الناس التي اشرنا اليها، استفاد هوميروس في تأسيس التاريخ الذي تصوره من خلال الشواهد والاثار التي اطلع عليها التي كانت منتشرة في ارجاء البلاد اليونانية من خلال تجواله في المدن اليونانية والبلدان المجاورة .

لقد سعى هوميروس من خلال ذلك الى اظهار اهمية التاريخ في حياة المجتمع اليوناني من خلال ما ذكره من احداث تاريخية كثيرة كان القصد منها الوعي بالتاريخ واهميته وأثره على المجتمع، هذا من ناحية ومن الناحية الثانية كان التاريخ

عنده يستخدم لأثارة الهمم والشجاعة في المعارك لتحقيق الانتصار والغلبة وهو ما اعتادت عليه المجتمعات القديمة، وما زالت هذه الطريقة تستخدم في الكثير من المجتمعات في استنكار أحداث الماضي البطولية لحث الناس على الشجاعة والاقدام .

ان الوعي بالتاريخ يأتي من أدراك الانسان لأهمية الأحداث التاريخية التي تشكل جزء من حياته على الارض ودورها في تحديد مصيره، فضلا عن كونها عوامل اساسية تسير به نحو تحقيق غايته في الطمأنينة والسعادة وتحقيق النصر .

ومن الجدير بالملاحظة ان اشعار هوميروس لم تكن وليدة اللحظة التي دونت فيها ،بل لقد تناقلت وتداولت على السنة الناس عبر الازمان حتى جمعت ودونت على يد هوميروس ووضعها بشكلها النهائي، كما يرى ذلك معظم الباحثين في الفكر اليوناني (النجار، فلسفة التاريخ، ص ٥٥). لذلك نرى ان التاريخ السابق على هوميروس ساهم بشكل كبير في انكفاء الوعي بالأحداث التاريخية عند هوميروس ودفعه الى كتابة تلك الاحداث بقصد التذكير بالماضي واهميته في حياة اليونان في الجوانب الاجتماعية الدينية منها والسياسية وغيرها ، مما يدل على ترابنية الاحداث او تسلسلها وفقا لإرادة الانسان وتصوره لحركة التاريخ واهدافه .

ان الصورة التي عرضها هوميروس عن واقع الحياة العامة للمجتمع اليوناني آنذاك تعبر عن وعي كامل بكل الاحداث التي وصفها في اشعاره ، ففي الجانب الديني جعل من الالهة والعبادات دور اساسي في الحياة العامة ،وهو ما كان الفرد اليوناني بحاجة ماسة اليه ، فالسعادة مبنية على الطمأنينة(وهي الغاية الاولى)، ودور الالهة في المجتمعات القديمة هو دور أبوي واجبه توفير الحماية و مساعدة الناس ونصرتهم في اوقات الشدائد وتقديم النصح والارشاد لهم مقابل التبجيل والاحترام وعدم انكارهم أو الاحاد بهم، وهو ما يشكل غاية التاريخ ومغزاه (مصطفى النشار ،من التاريخ الى فلسفة التاريخ، ص ٣٣).

ان هذا الدور الذي حدده هوميروس للآلهة هو جزء اساسي من التاريخ الذي عاشه المجتمع اليوناني وهو مكمل للأدوار التي سعى الفرد اليوناني فيها الى اظهار وجوده بوصفه المحور الثاني للأحداث التاريخية ،وهكذا كان هوميروس يربط الاحداث وعواملها بوعي مؤرخ متمكن يضع الاسس لبناء تاريخ متكامل الجوانب يكون ذا فائدة وحكمة يستند على منهج متين كي يبين طريق الناس في المستقبل ،مما دفع (سارتون) الى القول ان (الايادة والادوسيه)،علمتا التاريخ، وان الوظيفة الاساسية للشعر الحماسي عند هوميروس هي تسجيل احداث الماضي وحفظها للأجيال اللاحقة (سارتون ،تاريخ العلم، ج ١، ص ٢٩٧)، . وعلى الرغم من الدور الاساس الذي تؤديه الالهة في حياة المجتمع اليوناني ،الا ان الارضية التي اسس عليها هوميروس وعيه بالتاريخ وبأحداثه ،هو ادراكه اهمية الوعي بالطبيعة وبالوجود الطبيعي والذي يعد الركيزة التي يرتكز عليها كل ما يدور في المجتمع ،فهو الملهم للتفكير ، وهو أي (الوجود الطبيعي)،مصدر الحياة لدى الفرد اليوناني آنذاك ،لذلك لم يغفل هوميروس الدور الذي يلعبه فهم الفرد اليوناني للوجود ودور ذلك في حياة المجتمع ،لذلك اشار الى ان الطبيعة عبارة عن كائن حي (محمد جديدي، الفلسفة الاغريقية، ص ٦١)، وان الانسان جزء منها ،فضلا عن كونه أي الانسان يتشكل من (نفس وجسد)، وان النفس حلقة الوصل بين الانسان والالهة ،وانها خالدة ،وتشبه الالهة في خلودها، وان الطبيعة مبدأ الحياة الاول ،في اشارته الى المحيط المظلم كمصدر اول للوجود (يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣).

ان كل تلك الافكار التي اشار اليها هوميروس مبنية على الملاحظة والتجربة والاستنتاج، وتحليل الأحداث ،وكل ذلك دليل على الوعي القائم على التفكير بما يدور في الحياة العامة ،وهو دليل على اهمية الطبيعة ودورها في صنع الاحداث التاريخية مع عدم انكار ان الصفة السائدة في التفكير كانت مختلطة بالخرافة والاسطورة .

٢- دلائل الوعي التاريخي عند هوميروس:

لم تكن افكار وتأملات الانسان القديم مستقلة او بمعزل عن الواقع الذي يعيشه او ما يمكن تسميته بعالم الظواهر ، بل ان كل ظاهرة كانت مرتبطة بسبب او علة ونتيجة ملزمة لها ، مما يترتب على ذلك قانون عام في الوجود الاجتماعي ، وهكذا مع كل الظواهر الاخرى في الوجود التي ترتبط بحياة الانسان وذاكرته وتكتسب مصداقيتها من تصورهما الانساني والمغزى الذي يطمح الانسان ان يكون قد تحقق منها .

لقد ادرك الانسان القديم ان كل ظاهرة ترتبط بالزمان والمكان والعدد (فرانكفورت، ما قبل الفلسفة ،ص٢٢) ، وهي عنده عبارة عن نظام من العلاقات والوظائف التي لا تحدد بزمان او مكان معين كالسماة الفسيحة او العالم السفلي الذي ليس له حدود او المحيط المظلم او العماء او اللامتاهي وغير ذلك من المسميات التي تدل على ذلك النظام الكوني .

ان تصورات الانسان القديم للكون او الطبيعة (السماة ، الارض ، العلم السفلي) ، التي هي مسرح الصراع بين الانسان واخيه الانسان من جهة وبين الانسان والالهة من الجهة الثانية وبين الالهة انفسهم من الجهة الثالثة ، وهو في محتواه الاساس يمثل الصراع بين الخير والشر بكل جوانبه لا تجعل من الانسان مجرد مراقب لتلك الصراعات ، بل سعى جاهدا لتوظيف تلك الصراعات لخدمة اهدافه والاستفادة منها ، ولا يمكن ان يتحقق له ذلك الا بالوقوف الى جانب احد اطراف الصراع ، فانتصار الخير على الشر يهيمه كثيرا ويبهجه ، لان في ذلك نصرا له وادامة لوجوده في التاريخ ، لأن مقومات وجوده تحتم عليه ان يكون جزء او طرف في معادلة الحياة المبنية على عنصر الخير او الشر ، لذلك وجدناه يقدم القرابين والولاء للالهة التي ناصرته وازرتة ووقفت الى جانبه في معظم مراحل حياته وصراعه مع اعدائه ، ويحتفل بوجودها معه ، كما يحتفل بيوم الولادة (ولادة الخليفة) ، او الميلاد الجديد او البعث ، لذلك يمكن القول ان هناك توافق بين الاحداث الكونية التي هي العنصر الاساس في أي حدث تاريخي وبين الانسان بوصفه يمثل الجانب الاجتماعي في تلك الاحداث ، لذلك نرى ان الانسان لم يكن بمعزل عن الاحداث التي صورتها لنا الاساطير او الملاحم التي سجلت ونقلت لنا التاريخ القديم ، بل كان جزء منها ومدرك لأهميتها وقيمتها الاجتماعية ومغزاها ، فضلا عن ادراكه لمراحل التاريخ الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) ، وهكذا كان لهوميروس وهزيود ان يكونا مدونين لتاريخ تمثلت به كل تلك التحولات الفكرية والاجتماعية مستهدفين من كل ذلك المستقبل من خلال احضار الماضي بحوادثه وصراعاته ذات المغزى التاريخي .

لقد كانت اعمال هوميروس عبارة عن كتابة تاريخ المجتمع اليوناني القديم بالطريقة التي اردھا ووصف بها الماضي ومزج بينه وبين الحاضر الذي عاشه وشهد احداثه ، وقد نظر نظرة خاصة الى الواقع المعاش على الرغم من استخدامه للرمز الاسطوري في الكثير من مواضع كتاباته الملحمية ، قاصدا بذلك الاستفادة من حكمة الاجداد وعبرة التاريخ في التعامل مع الحاضر ، فقد كانت قصائده عبارة عن تاريخ لسائر العلوم الانسانية كالتطب والجغرافية والفلك والحرب ، والسياسة والدين وانواع الحكومات ، فضلا عن الحرف والصنائع التي كان يمتنها المجتمع اليوناني آنذاك ، وقد كان بذلك اول المؤرخين (هوميروس ، الاليادة ، ص٥١ ، ٥٢) ، وهو بذلك يجيد مهنة المؤرخ او فيلسوف التاريخ ، ومعظم اعماله تدل على ذلك . لذلك يمكننا القول ولو بتحفظ ان هوميروس في اعماله تلك كان مدرك للعمل التاريخي الذي كان يقوم به (تدوين الاحداث) ، بسبب تعلقه بالماضي وذكر احداثه والاستشهاد بها في الكثير من المواقف ، وكذلك مدرك لما يدور من مادة تاريخية ومدرك ايضا الفائدة من ذكر تلك الاحداث الماضية للحاضر والمستقبل ، وبذلك تحققت عنده غاية التاريخ واهدافه ، بما في ذلك النظرة المستقبلية للتاريخ ، فضلا عن العبرة والحكمة من التاريخ التي مر ذكرها . فضلا عن ذلك يمكن ان نذكر شاهد اخر من الشواهد التي تدل على الوعي الكامل بالتاريخ واهدافه وغاياته عند هوميروس ، وهي قضية اكثر اهمية في التدليل على ان هوميروس كان بارع في تدوين حوادث التاريخ ومعرفة مساره بشكل صحيح ومحاولة التحكم به ذلك من خلال استخدامه الاحصاء الرياضي للأحداث التاريخية ، ومعرفته بان التاريخ مبني على جزئيات ذات اهمية

تساهم في تدوينه وتحديد حوادثه، وتلك الجزئيات هي الاشارات الواضحة الى عدد الايام والسنين والاحداث التي مرت بها اثينا او طروادة من قتال وحصار من قبل الاطراف المتحاربة، ففي حرب طروادة يرصد عدد السنين التي حاصر بها الطرواديون مدينة اثينا، ان تحديد هوميروس المدة الزمنية للحصار انما يدل انه يقوم بعمل تاريخي يعي احداثه ويؤرخ لها ويقدم معلومة تاريخية تشكل جزء من الوعي بالتاريخ المعاش للمجتمع اليوناني آنذاك.

لقد كان هوميروس يستخدم التقويم في وصف حرب طروادة وهذا دليل على ان تقسيم الايام والفصول والسنين كان معروف عند اليونان مما يدل على شعور الفرد اليوناني بأهمية التاريخ ووعيه بكيفية سير الاحداث وغاياتها، ودليل على ان احداث التاريخ تسير نحو هدف محدد وغير عشوائية (محمود محمد علي، فلسفة الرياضيات، ص ٦). كما ان استخدام هوميروس مصطلحات مثل (الامس واليوم، واليوم واللاحق)، تدل على انه كان يشير الى الماضي (الأمس)، والحاضر (اليوم)، والمستقبل (اليوم اللاحق)، في التاريخ، لذلك يمكن ان نؤكد ان التاريخ خاضع للتطور والتقدم الناشئ من تراكم الاحداث التي تؤدي الى الابداع وتحسين الفعل التاريخي، كما تحدث هوميروس عن مصطلح اللانهائية، حينما اشار الى المحيط المظلم او الخواء الذي جاء منه الوجود (محمد جديدي، المصدر السابق، ص ٦١) (الهامش رقم (١)).

٣- مظاهر الوعي التاريخي عند هزيود .

تحدثنا في الصفحات السابقة عن الافكار التاريخية في اشعار هوميروس وأشرنا الى انه كان واعيا ومدرك للأحداث التاريخية التي يؤرخ لها، وانه كان على دراية تامة بحركة التاريخ من خلال اشاراته الكثيرة الى عوامل حركة التاريخ، وهي دور الانسان والزمان والمكان في صنع الحدث التاريخي وبيان الاسباب في ذلك .

اما هزيود فكان الوعي التاريخي اكثر وضوحا لديه، ولعل اهم ملامحه (الوعي التاريخي)، هو تحديده بداية التاريخ، ففي قصيدة (انساب الالهة)، نجد ان هزيود يتحدث عن بداية ولادة الوجود من (العماء او الخواء) ومنه جاءت الارض، مهد الكائنات الامن الى الابد كما يسميها، ثم العالم السفلي (تارتاروس)، ثم ايروس (اله الجمال)، ثم اربوس (الليل او الظلام)، ومن الظلام ولد النهار وهكذا الى اخر القصة (هزيود، انساب الالهة، ص ٤٢، ٤١).

ان قصيدة انساب الالهة عمل اسطوري يوضح فيه هزيود بداية التاريخ على الارض وولادة الكون الذي جاء من ارادة الهية، اما في قصيدة (الاعمال والايام)، فيتحدث هزيود بنظرة جديدة عن الماضي ويذكر فكرة ادوار التاريخ الاربعة التي مر بها الجنس البشري (ويسميها العصور الذهبية)، وانحطاط التاريخ بعدها وهي (العصر الذهبي، والفضي، والبرونزي (النحاسي)، وعصر الحديد)، (الاهواني، فجر الفلسفة، ص ٢٧). لقد تحدث هزيود عن الزمان، خاصة الزمان الماضي، ثم تحدث عن النهائية والابدية، ويرى ان لكل شيء بداية ونهاية، كما تحدث عن تعاقب الليل والنهار وفصول السنة ودوراتها وقسم السنة الى فصول وايام وشهور حيث يقول :

بعيدا من أولئك الذين لا يموتون

وعندما انقضت السنة

ودارت الفصول دورتها

وراحت الليالي تتناقص

وتكتمل النهارات

انجبت تسع بنات بقلب واحد. (هزيود، انساب الالهة، ص ٣٥).

ان معرفة هزيود تقسيم الزمن (التقويم الزمني) ، واجزائه تبدو بشكل دقيق ،فهو قد اشار الى الايام والسنين ولكن الاهم من ذلك هو اشارته الى فكرة (اللحظة الاولى) ،أي البداية الاولى لكل شيء ،او بداية الزمان او هي الجزء الاول للزمان (لحظة الولادة) ، حيث يقول:

منذ اللحظة الاولى

اولئك اللذين ولدوا من الارض والسماء الفسيحة

وهؤلاء اللذين ولدوا من اولئك. (هزيود، انساب الالهة ،ص ٣٣).

ومن الجدير بالملاحظة ان فكرة الزمان في الديانة الاورفية تعد المبدأ الاول للأشياء ،لان الزمن عندهم هو الذي سيخلق الايام لاحقا عندما يخلق الظلام والنور ،وهذا يعني ان بداية التاريخ عندهم تبدأ من خلال انشطار بيضة الزمان (كما يسمونها) ، الى شطرين او نصفين ، الاول هو السماء والثاني هو الارض والذي ترتبط بفكرة التاريخ البشري ،حيث تحدثت الاورفية عن فكرة النور (اول المخلوقات) ،ثم الكون وهو اللاحق ،أي مخلوق من النور ، مما يدل على فكرة الاسباب في التاريخ ثم اللاحق ،أي تراتب احداث التاريخ بالأسبقية ،ثم الكون الذي خلق من النور ،وهذا النور يشمل الالهة الاباء (زيوس ، ديونسيوس ، وايروس ، وبان ، وميتس) ، وهن الهة الخمر والحب والتناسل والعقل (الاهواني) ،المصدر السابق،ص ٢٨). لذلك فان التاريخ الحقيقي عند الاورفية يبدأ بالزمان ثم النور ثم السماء والارض ،فكانت البداية ثم الوسط ثم النهاية ، وهذه المفاهيم التي استخدمها زيوس في صراعه مع اعدائه خاصة (كرونوس).

ان خلاصة الفكر التاريخي عند هزيود تتجسد في تحديده فكرة العلة او السبب الذي جاء منه الكون ولأجله وجد أي الغاية، ففكرة (العماء) هي العلة الاولى للوجود عنده ،ثم تتدرج عملية الخلق وفق للتسلسل الذي حدده وكما مر ذكره(العماء ، ثم الظلام ، ثم النهار ، ثم الارض) ،وهكذا تبدأ البداية الفعلية للتاريخ من خلال ولادة الكون وعمليات الخلق الاولى التي قامت بها الالهة ، ثم يحدد هزيود حقب التاريخ الاربعة التي مر ذكرها ،ثم يفصل اكثر في التاريخ حين يتحدث عن الزمان ويقسمه الى ايام وفصول وسنين.

ان الطريقة المنظمة والمتسلسلة لسرد احداث الكون والطبيعة والالهة عند هزيود دليل على الوعي الكامل بالتاريخ واهتمامه به ،فضلا عن ادراكه لمغزى الاحداث التاريخية وربطه بالسبب بالمسبب انما يدل على انه كان على دراية تامة حينما كان يذكر او يؤرخ لتلك الاحداث .

لقد كان وعي هزيود متجسد في أحداث تاريخية مهمة منها الانقلاب الشتوي والاحتفالات الخاصة بالفصول الاربعة والاحتفالات الخاصة بالحصاد او جني المحصول في مواسم تاريخية معينة وثابتة على مدار العام ، وتلك الاحداث تعبر عن صورة وفكرة تاريخية وشعور بالوعي بأهمية الاحداث في حياة الانسان وفي اخذ العبرة والحكمة والموعظة وقراءة التاريخ والاستعداد للمستقبل بناء على معطيات والماضي والحاضر .

ان كل تلك المفاهيم التي ذكرناها انما هي عبارة عن دلائل الوعي التاريخي، وصورة لفلسفة التاريخ عند هزيود ، تجسدت في قصائده ، ومثلت العلية والسببية والنظرة المستقبلية لأحداث التاريخ.

الطبيعة والتاريخ (من الاحساس بالوجود الى الاحساس بالتاريخ) :

يعد التاريخ سجل لأحداث الماضي لأي امة من الامم، وهذا يعني ان مهمة التاريخ تسجيل الأحداث التي تقع على ارض الواقع، كما ان التاريخ لا يقتصر على اخبار الماضي فحسب بل هو يدرس التجربة الانسانية او بعض جوانبها ،كما يهدف الى فهم سلوك الانسان وطبيعة الحياة على الارض .

ان مهمة التاريخ ربط الأسباب بالمسببات والكشف عن النظام والانسجام في الواقع بحسب التسلسل والتولد المنطقي، لأن التاريخ بناء منطقي لعالم الانسان، لذلك فدور الانسان اساسي في الكثير من الاحداث الذي يهدف من وراها تحقيق غايات معينة ، وقد تكون تلك الاحداث ناتجة عن علاقة الانسان بمحيطه الطبيعي وبحثه الدائم وسؤاله عن اسباب وجود ذلك العالم العجيب والغامض في الكثير من جوانبه.

ويعد السؤال الفلسفي الذي بدائه اوائل الفلاسفة من اهم الاحداث التي غيرت مجرى تاريخ الإنسانية خاصة في الجوانب الفلسفية والعلمية ، وهو من الاحداث الكبيرة في مسيرة الانسان على سطح الارض، لذلك كان لهذا النوع من النشاط الانساني تأثير في مسيرة التاريخ وشكل مبحث مهم في الدراسات التاريخية .

لقد كانت معظم نشاطات الفلاسفة الطبيعيين وغيرهم جزء مهم من تاريخ العلم والفلسفة ولها اثر واضح في تحديد مسيرة الانسان العلمية وتشمل (الاتجاه المادي والمثالي)، وفي مجال التاريخ ربط الكثير من الفلاسفة حركة التاريخ بحركة المادة ودورها في ارتقاء الفكر الانساني خاصة الفكر الفلسفي ، ورأى اصحاب هذا الاتجاه ان كل ما موجود في الوجود اصله مادي او يعتمد كلياً على المادة قديماً الفلاسفة اليونان والماديون في العصر الحديث)، فالواقع مادي ، والكائنات الحية (انسانية او حيوانية)، مادية في طبيعتها الاساسية ، ثم اشار فلاسفة اخرون الى دور الروح في حركة المادة (اتحاد المادة بالروح)، لإنتاج فكر فلسفي مختلف عن الاول يساهم في حركة التاريخ يسمى (الاتجاه المثالي).

الوعي التاريخي عند اوائل الفلاسفة اليونان :

ان دور الطبيعة واهميتها في حياة الانسان بدأ منذ القدم، فقد اعتمد الانسان القديم بشكل كلي في حياته اليومية عليها وكانت له بمثابة الام والمأوى ، ومع قديماً الفلاسفة اليونان كانت لها اهمية خاصة، فقد رأوا ان معظم العناصر الطبيعية تلعب دوراً في تفسير الوجود، لذلك ارجع اوائل الفلاسفة اليونان علل الوجود واسبابه الى المادة بأشكالها الثلاثة (الصلبة ، السائلة ، الغازية)، وهي سبب وجود الاشياء ومادتها الاولى ، وجميعها من نتاجات الطبيعة المادية ، ولم يكتفوا بذلك بل ربطوا بين حياة الانسان وبين الطبيعة بوصفها مهد ولادته وحاضنته التي لا وجود له بدونها ، مما جعله يخضع لكل قوانينها ومظاهرها المختلفة، لذلك ذهب الكثير من العلماء والفلاسفة الى البحث في الأسباب التي تؤدي الى فهم تلك العلاقة والوقوف على عللها المختلفة واطهار دور الطبيعة في التأثير على تفكير الانسان وكيفية ربط مصيره بمظاهرها، وكان ذلك واضح من خلال اعتبار تاريخ حياة الانسان على الارض مرتبط بحركات الطبيعة ومظاهرها المختلفة ، واول شيء لفت انتباههم هو ان حركة الطبيعة عبارة عن دورات من الزمن تتكرر بمظاهر مختلفة ومتطورة نحو المستقبل وان حياة الانسان مرتبطة بل وخاضعة لتلك الدورات وان قدرها لا يجعلها تخرج خارج اطار تلك الدورات الزمنية لان الانسان مستغرق في الزمان والطبيعة في ان واحد ، بل هو جزء اساس منها، وخاضع لجدلية الولادة والفناء في التاريخ ، وبذلك يكون تاريخ الانسان خاضع لدورات الزمن لأن حياته عبارة عن دور متكاملة (ولادة وحياة وموت)، ومتزامنة من ناحية الزمان مع حركة الطبيعة الدائرية.

ان بحث الفلاسفة الطبيعيين في الوجود المادي لا يعني ابدا انهم كانوا غير عارفين بأهمية التاريخ او انهم غير مدركين لحركته واهميته للمجتمع او انهم استغنوا عن اخذ العبرة والحكمة من احداثه الماضية ، بل لقد كانوا مدركين جيداً ان التاريخ هو ارث الماضي الحضاري الذي يمثل الجوانب العلمية والفلسفية ، وفي الوقت نفسه كانوا مدركين ان البحث في الوجود المادي هو جزء من البحث في التاريخ، كما ان التاريخ عندهم كان جزء من الوجود الطبيعي، فهم جزء من التاريخ بوصفهم العامل المحرك للأحداث، والوجود الطبيعي لا يتحقق الا في التاريخ، فهو يمثل الزمان والمكان ومادة التاريخ، وهذا ما كان متحقق عند معظم الفلاسفة حتى المثاليين منهم.

ان اعطاء الانسان اهمية خاصة للوجود الطبيعي والبحث في اسبابه هو دليل على ادراك اهمية ذلك الوجود في حياته، وهذه الاهمية تأتي من خلال جدلية (زمانية ومكانية)، غايتها ادراك مغزى الوجود الطبيعي واهدافه، وكل تلك الصفات تجعل من الوجود الطبيعي جزء من التاريخ العام للإنسانية، وبذلك يمكن القول ان معظم الفلاسفة كانوا مدركين للأهداف والغايات التي يسير الوجود من اجلها، ما يساهم في مسيرة التاريخ، فحركة الاشياء وتكوينها للوجود هي عندهم جزء من حركة التاريخ، لان التكوين الاول للوجود ثم حركته الدائمة والاستمرارية للحياة في الوجود انما تشكل دورات تاريخية تمثل مراحل ودوار الوجود وهذه المراحل هي ادوار تقتضي زمان ومكان وهي تمثل التاريخ بل هي مراحل التاريخ الاساسية، وقد وجدنا الكثير من الفلاسفة يشيرون الى تلك الادوار بوضوح ويعدونها مصدر للوجود تارة ومبدا اساسيا في حركة التاريخ تارة اخرى، فمثلا هي عند انكسمندريس مبدا للوجود وعلته الاولى، حيث يقول ان التكوين الاول للوجود انما جاء من خلال انفصال الغلاف الخارجي لحركة اللامتناهي (الايرون)، اثناء دوراته المستمرة والمتواصلة عبر الزمن غير المنتهي في الوجود غير المنتهي، والذي مازال مستمرا في الحركة على الرغم من انفصال اجزاء منه لتشكيل الوجود المادي، وهذا التشكل الاول للوجود هو بداية التاريخ عند انكسمندر، حيث تشكلت الاشياء من الخليط المتجانس الذي يحوي بداخله كل علل الوجود وغاياته، ويدلل انكسمندر في أحد أهم النصوص التي تشير الى فكرة التكوين الاول (بداية التاريخ)، على ذلك حيث يقول: (ان اللامحدود الذي يكون جميع العوالم، مادة ابدية خالدة تحوي جميع العوالم، نشأة منها الاشياء وتعود اليها ثانية، طبقا لقانون زمني وهناك حركة ابدية، وان منشاء العوالم يحدث خلالها) (ابن رشد، لارسطو، ص ١٤٤٥).

ان اشارة انكسمندر الى فكرة القانون الزمني والحركة الابدية وفكرة العود الابدي او (المعاد)، أي عودة العالم الى اللانهاية التي جاء منها، وتكرارها، هو دليل على وعيه بالتاريخ وحركته وعوامل تقدمه ودوراته المتكررة التي تسبب التقدم في حركة التاريخ نحو المستقبل. ومن الجدير بالملاحظة ان اكتشاف انكسمندر (المة المزولة)، او اعادة ابتكارها على اعتبار انها كانت مستخدمة عند قدماء البابليين والصينيين، هو في الحقيقة اكتشاف الة قياس الزمن الذي يتشكل منه التاريخ، فحسبان ساعات النهار واجزائه من خلال تتبع ظل الاشياء من شروق الشمس الى غروبها، انما هو عمل في جزئيات التاريخ التي من خلالها يمكن ادراك طول النهار وقصره، والايام من السنة التي يكون فيها النهار اطول، او الايام التي يكون فيها اقصر وهكذا، ثم معرفة الانقلاب الصيفي والشتوي والمدة التي تحدد ذلك (سنة اشهر)، تبعا لحركة الشمس وظل الاشياء والصورة التي تشبه المروحة التي يرسمها الظل على الارض (سارتون، المصدر السابق، ص ٣٦٨)، انما ذلك دليل على الوعي بأجزاء التاريخ وحركة الزمان ودور المكان في صناعة الاحداث التاريخية.

ومن الجدير بالملاحظة ان اشارة طاليس الى فكرة كسوف الشمس الذي وقع في (عام ٥٨٥ قبل الميلاد)، والذي كان سبب في وقف الحرب بين الليديين والفرس (سارتون، المصدر السابق، ص ٣٦١)، انما هي جاءت من خلال حسابات للأيام والسنين ودوراتها المتكررة عبر الزمن، لذلك فاستنادا للخبرة التي تميز بها طاليس ومعرفته بحركة التاريخ (بغض النظر عن المصدر الذي تعلم منه طاليس تلك الحسابات سواء اكان البابليين او قدماء المصريين)، فقد تمكن من التنبؤ بذلك الكسوف مما يدل ذلك على ان طاليس قد حقق فكرة العلية والنظرة المستقبلية في التاريخ من خلال ملاحظته واستعانتة بحكمة السابقين له والتي تمثل حكمة التاريخ وعبرته وهو ما يجسد بشكل منطقي فكرة الاستفادة من العبرة والحكمة من حركة التاريخ، وهو دليل على الوعي الكامل بحركة التاريخ ودوراته المتكررة التي تنتج في بعض الاحيان نتائج متشابهة لأحداث سابقة في حال لم يكن الانسان جزء من اسبابها، مع ايماننا الراسخ بعدم تكرار حوادث التاريخ التي يكون الانسان احد اطرافها، والتي يروج لها تحت مسمى (التاريخ يعيد نفسه)، ففي حالة الكسوف هذه لم يكن الانسان مسبب لها بل كان مدرك لأسبابها ومستعدا لها وفق حسابات زمنية تجعل منه على وعي ودراية بحركة التاريخ وفلسفته،

لأنه بحث في العلل والاسباب وتنبأ بالمستقبل وكل تلك العوامل هي الاهداف الاساسية لفلسفة التاريخ المبنية على الوعي الكامل بالتاريخ.

أما انكسيمانس الذي قال ان العالم عبارة عن كائن كبير يتنفس الهواء، فقد جعل من الهواء حياة العالم ومبدأه، مما يدل على انه جعل من العالم كائن واحد مثل شخص او انسان واحد، فالنفس للإنسان كالهواء للعالم، ويشبه هذا القول رأي بعض المحدثين اصحاب نظرية التفسير الحيوي للتاريخ اللذين يجعلون من الحضارات كائنات حية (مثل ابن خلدون، واشبنغلر، وتونبي، وغيرهم). (فلسفة التاريخ والحضارة، حامد حمزة حمد، ص ٦٩ وابعدها).

كما أشار انكسمانس الى ان الكواكب دائمة الدوران، أي كان يعتقد بفكرة الدوران الازلي(سارتون، المصدر السابق، ص ٣٧٤).

لذلك لم نشخص شيء جديد في قول هرقليطس بان الوجود يخضع لدورات متكررة في التاريخ، حينما يذكر في احدى شذراته (هناك تبادل : فكل الاشياء للنار والنار لكل الاشياء، مثلما يتم تبادل السلع بالذهب والذهب بالسلع)، (محمد جديدي، الفلسفة الاغريقية، ص ١٧٣، ش ٩٠)، مما يمثل الحركة من الاعلى الى اسفل ثم بالعكس، وهي حركة دورية تمثل حركة الوجود الطبيعي في التاريخ، ومن الممكن انه اراد القول ان الطريق من الاعلى الى الاسفل هي في الوقت نفسه من الاسفل الى الاعلى وهي واحدة، كما ان الحركة في الدائرة هي واحد من البدء الى النهاية وبالعكس، أي ان البداية والنهاية في محيط الدائرة التي تمثل عنده الحركة الدورية للوجود هي واحدة .

اما قوله ان (النار تعيش موت الارض والهواء يعيش موت النار، والماء يعيش موت الهواء والارض تعيش موت الماء)، (محمد جديدي، المصدر السابق والصفحة ٧٦)، فهذه تمثل تراتبية الوجود وتسلسله داخل الدورة التاريخية الواحدة، فالأصل الاول هو النار ثم الارض ثم الهواء ثم الماء، ثم تعود السلسلة لتبدأ من النار وتكرر في التاريخ ليستمر الصراع في الوجود وتستمر حركة التاريخ بدورات ثابتة ومحددة كما يذكر هرقليطس في احدى شذراته (هذا الكون المنظم هو واحد للجميع لم يخلقه اله او انسان من البشر لكنه كان ويكون وسيكون للابد شعلة حية تضطرم بمقدار وتتطفئ بمقدار)، (المصدر السابق والصفحة ٣٠)، وهذا يعني ان مادة الوجود محددة بمقدار اضطرار النار وانها لا تزيد عن ذلك ولا تقل، لان في ذلك خروج عن مسار التاريخ المقرر للوجود والذي يحدد عملية كل دورة حياة للوجود في التاريخ.

ومن الجدير بالملاحظة وعلى الرغم من ان هرقليطس لم يجعل للآلهة دور بارز في الوجود الطبيعي، مما يتخيل للبعض انه لم يكن يجعلها تلعب أي دور في التاريخ او الوجود، ولكنها حسب قوله كانت تمثل للإنسان النهار والليل، الحرب والسلم، والصيف والشتاء، والجوع والشبع، (المصدر السابق، ص ١٧٢، ش ٦٨)، وكل ذلك يمثل مظاهر الوجود الطبيعي في صراع وتصادم اضداده مع بعضها البعض لخلق حوادث التاريخ التي تتمثل في تكون الاشياء وفنائها من خلال جدلية الصراع الدائم بين الحياة والموت او الكون والفساد الذي يحدث في الوجود الطبيعي الذي يمثل الجزء الاوحد من الاطار التاريخي لتلك الاحداث، كذلك تمثل مادة الدورة التاريخية الواحدة عند هرقليطس.

لذلك يمكن القول ان مظاهر الطبيعة تلك تمثل وجود الآلهة في التاريخ عند هرقليطس، ولكن يمكننا قوله ايضا هو ان فكرة العناية الالهية لم تتحقق عنده من خلال وصفه الآلهة بتلك الصفات، لان عملية ظهور وزوال الاشياء، والولادة والموت والقرب او البعد مرتبطة بالزمن، فالحاضر عنده يشكل حدا غير مدرك بين الماضي والمستقبل، حيث يقول: اذ يقترب المستقبل يصبح حاضرا، في حين عندما يصبح الحاضر حاضرا يبتعد في الماضي، فكل زمن يصبح غيره، ولكنه، أي الزمن هو بين كل الاشياء، ويتضمن كل شيء، ووحده يوجد ولا يوجد، لان الغد هو اليوم واليوم هو الامس، وقد كان الأمس غدا. (المصدر السابق، ص ١٦٦).

وهكذا يمكن القول ان هرقليلطس قد سخر كل آراؤه في الوجود الطبيعي لخدمة التاريخ من خلال ايمانه المطلق بأحداثه وحركته الدورية او حركته من الاعلى الى الاسفل او من الماضي الى المستقبل مع ايمانه الكبير بدور الانسان في صناعة الاحداث التاريخية وقد مر ذكر الكثير من التفاصيل بخصوص ذلك.

اما المدرسة الايلية التي عبرة فلسفتها عن الثبات والوحدة في الوجود، فلم يكون الوعي بالتاريخ غائب عن افكار فلاسفتها او تأملاتهم للوجود وما يدور فيه من افكار ووصفهم لذلك في الكثير من نصوصهم الفلسفية او مصطلحاتهم المعبرة عن التاريخ او حركة التاريخ واثره في الحياة الاجتماعية، فقد وردت عندهم الكثير من المصطلحات المعبر عن الوعي بالتاريخ، او الاحساس به واهميته في حياة الناس ،فعلى الرغم من ان التصور العام لتوجه المدرسة الايلية بانها امننت بالثبات والوحدة في الوجود مما يدل على نفي الكثرة والحركة والذي يؤدي الى الثبات ونفي وقوع الاحداث، لان ذلك خلاف ما قاله فلاسفتها، ولكن الواقع ان قولهم ان الوجود ثابت في التاريخ ولكنه غير متحكم بما ينتج عن ثباته من فكر ووعي بالأحداث التي تشكل حياة الناس الذي قسمهم بارمنيديس الى قسمين، كذلك المعرفة عنده نوعين، فالفكر عنده مبني على الوجود، ولكن الفكر اتسع ليشمل كل ما يدور في الوجود، فرحلة بارمنيديس التي ذكرها في قصيدته ،هي رحلة في الزمان المحسوس، وقد تكون عنده بداية المعرفة او(بداية التاريخ)، بغض النظر عن نوع المعرفة التي حصل عليها من رحلته تلك(محمد جديدي، الفلسفة الاغريقية،ص188).

لقد كان بارمنيديس مدرك انه يتحرك في زمان محدد نحو زمان مستقبلي من خلال وصفه تلك الرحلة ،وكيف ان (الالهة)، ربات الفنون والتي شكلت جزء من القصة(الحدث التاريخي)،او ربما هي العامل الاساس في هذا الحدث الذي يعد رحلة نحو المستقبل من خلال حركة عجلة الزمن(احد عوامل وقوع الحدث بالتاريخ)،وكيف وصلت الى الباب الذي يفصل النور عن الظلمة (الليل والنهار)،(وربما يقصد البداية والنهاية)،كما يصف لنا موقف ربة العدالة في حراستها للحقيقة او العدالة (الحقيقة المطلقة)،التي تتصف بها الالهة دون البشر وهي صعبة المنال عليهم. كل ذلك يدل على وعي بارمنيديس بالعوامل التي تتحكم بمصير الانسان ،وادراكه للبداية والنهاية في الحياة والوجود للأحداث التي تشكل الحياة على الارض، وحياة الالهة التي سافر اليها لمعرفة حقيقة الوجود المتمثل في ادراكه للمعرفة (طريق الحق)، وتميزه عن طريق الظن(الباطل).

وتدليلاً على ما مر ذكره في قولنا ان بارمنيديس كان واعيا بالتاريخ، فقد وردت في فلسفته الكثير من المصطلحات التي تمثل الوعي بالتاريخ وحركته ،مثل ثبات الوجود(عكس حركة الوجود)، الزمان ،الحقيقة، الظن، عجلة الزمان، النور، الظلمة، (مسكن الليل)،الحدود التي تفصل بين النور والظلمة (او بين الليل والنهار)،اله العدالة(ربة العدالة)، ابواب الزمن، النهاية والمصير وغيرها من المفاهيم التي تدلل على انه لم يكن غافل عن حركة الاحداث التاريخية والوعي بها.

الحركة الدورية للتاريخ:

لم تكن النظرة الى الوجود بوصفه يخضع لدورات(تاريخية)، متكررة في الزمن جديدة او انها ظهرت مع المدرسة الطبيعية التوفيقية ،بل لقد مر بنا سابقا ان هوميروس وهزيود وانكسيمندريس قد اشاروا بوضوح الى فكرة خضوع الوجود لدورات متكررة في التاريخ، والحقيقة هي ان الزمن هو الذي يدور على الوجود وليس العكس.

لقد ادرك فلاسفة المدرسة التوفيقية خاصة انبادوقليس ان التاريخ عبارة عن دورات متكرر يخضع لها الوجود من خلال عوامل الحركة التي تسبب ذلك ، وان تلك العوامل وان كانت خارج الوجود فهي تتسلل اليه عبر الزمن وفي اوقات محدد ودورات محسوبة ومتكررة ،مرة تكون سلبية واخرى ايجابية ،يسود في الحالة الاولى العدل والتسامح والمحبة ،وفي

الثانية تنفسي الكراهية والتفكك والتباغض بين اجزاء الوجود، وفي الحالتين تتشكل الاحداث التاريخية(عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني،ص١٤٧).

لقد ادرك كل من انبادوقليس وانكساغوراس ان الوجود المادي الذي يتألف من العناصر الاربعة لا بد له من عامل يحركه من الخارج ، وان المادة لا يمكنها ان تحوي بداخلها عوامل الحركة، وان الوجود المادي بعناصره المادية والعوامل الخارجية المحركة له تشكل دورات التاريخ المتكررة التي يحيا بها العالم، وان هذه الدورات الزمنية تكرر على مدى تاريخ هذا العالم حسب القوى الداخلية التي تتحكم بالعالم من خلال عامل(المحبة والكراهية)،او العقل المحرك للوجود المادي عند انكساغوراس (المصدر السابق،ص١٥٩).

لقد امن انبادوقليس بفكرة عودة التاريخ(التاريخ يعيد نفسه)،او دورات الزمن المتكررة، حيث يرى ان الوجود يخضع لدورتين متتاليتين مختلفتين من حيث العلة والغاية والسبب والهدف ، وهو بذلك يحدد سبب حدوث الدورات وغايتها، وان هاتين الدورتين تشكلان ضدين في تاريخ الوجود، تتكرران عبر الزمن الالهي مسببتان نفس الغاية من وجودهما عبر التاريخ. لقد ادرك انبادوقليس ان الوجود مادة التاريخ، وهو في الوقت نفسه سبب دوراته المتكررة ، فلولا الوجود لما تكرر الزمن او التاريخ، ولا يخلو ذلك الزمان الازلي من عاملي المحبة والكراهية (الاهواني، المصدر السابق،١٦٧/شذرة/١٦).

ان الوعي بالتاريخ جعل فلاسفة المدرسة التوفيقية ينظرون الى الوجود بوصفه كرة دائرية خاضعة لدورات الزمن المتكررة، وان كرة الوجود تتألف من العناصر الاربعة التي تشكل الشمس والارض والبحر والتي تخضع لدورات متساوية لخلق الليل والنهار او النور والظلمة والحوادث الاخرى ،وكل تلك الاشارات دليل على ادراكهم ووعيهم بحوادث التاريخ وانها خاضعة لتلك الكواكب، يقول انبادوقليس (ان الارض هي التي تجلب الليل عندما تتوسط اشعة الشمس، وان الشمس بعد دورتها حول الارض تعكس الضوء السماوي، والقمر يحجب اشعة الشمس كل ما مر من تحتها)، (الاهواني، السابق، ص ١٧١، الشذرات،٤٣،٤٤،٤٨).

ان تلك التصورات وان كانت تتعلق بالوجود المادي ولكنها ايضا تدلل على الوعي بالتاريخ والحوادث التاريخية، فتعاقب الليل والنهار بسبب ما ذكر لها أثر كبير على فعل الانسان ودوره في التاريخ او في صنع الاحداث التاريخية من خلال دورات الوجود.

الانسان محور التاريخ وغاياته .

ومع السفسطائية يتجه البحث في التاريخ اتجاه مغاير تماما لعوامل حركته وغاياته وعلله ،فقد اصبحت الالهة خارج التاريخ ولم يعد لها دور في حياة الانسان ،ولم يعد لمفهوم العناية الالهية أي دور يذكر في صنع التاريخ ورعاية الانسان ومساعدته والوقوف الى جانبه في الحرب او السلم، او في صناعته لأحداث التاريخ، لقد اصبح الانسان عند السفسطائية محور التاريخ، فهو العلة والسبب، وهو الغاية والنتيجة، وهو النظرة المستقبلية والمستقبل، وقد اصبح له الحق في تقرير ما يريد من صناعة الاحداث وتقرير المصير اصبح بيده ،فهو العامل الاساس في كل حركة تساهم في صنع التاريخ وعلتها، وهو من يحدد غاياتها، فهو الحركة والمحرك في ان واحد ،وهو الذي يتحكم في مجري التاريخ.

لقد كانت حركة المعرفة الجديدة التي ظهرت مع النزعة السفسطائية تعبر عن تطور في الروح الفكرية لليونان نحو ادراكها لذاتها، بل هي لحظة مهمة في تاريخ اليونان الروحي والحضاري بعد التقلبات السياسية التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد في البلاد اليونانية حينما تحول النظام السياسي من نظام دولة المدينة الى النظام الدولة الشاملة لكل تلك الدويلات (الامبراطورية في عهد بركليس).

ان النزعة السفسطائية تعبر عن الروح الفردية المضادة للنزعات العامة التي كانت سائدة عند كل المفكرين والفلاسفة اليونان الذين سبقوا السفسطائيين، لذلك سعى السفسطائيون الى ان تكون النزعة الفردية هي المقياس الوحيد في النظر في الاشياء والوجود، مما ادى الى تغيير شامل في مجرى التفكير اليوناني، حيث الانتقال في الفكر وكل شيء من الموضوعية الى الذاتية(بدوي، المصدر السابق، ص ١٦٨).

ان هذا التفكير جعل من الانسان اسمى من الطبيعة، حينما جعلوه مقياس الطبيعة، في حين كان التفكير السابق لهم ينظر الى عكس ذلك، أي الطبيعة مقياس الانسان، وانكروا على الانسان استقلاليته .

ان من خصائص النزعة الجديدة هي ايمانها بالتغير الدائم في الوجود والتاريخ، أي ان كل شيء يسير نحو هدف جديد، وهو ما يمثل النظرة المستقبلية للتاريخ على الارض، وان كانت هذه النظرة بعوامل بشرية، لان محور التاريخ عندهم هو الانسان، وله الحكم على جميع الاشياء بما تقتضيه المصلحة الفردية او حسب حاجته الشخصية .

المصادر والمراجع :

١. هوميروس ،اللياذة ،ترجمة سليمان البستاني ،الناشر مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ٢٠١٧.
٢. الالوسي ،حسام محي الدين ،الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ،المؤسسة العربية للدراسات النشر ،الطبعة الاولى ،بيروت ١٩٨٠.
٣. كريم متى ،الفلسفة اليونانية ،بغداد ١٩٧١.
٤. الالهواني، احمد فؤاد، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الطبعة الاولى ،دار احياء الكتاب العربي ،القاهرة ١٩٥٤.
٥. هزويد ،انساب الالهة ،ترجمة صالح الاشمر، منشورات الجمل ،بدون تاريخ.
٦. النجار ،جميل موسى، فلسفة التاريخ، مباحث نظرية ،المكتبة المصرية ،الطبعة الاولى ،بغداد ٢٠٠٧.
٧. النشار ،مصطفى، من التاريخ الى فلسفة التاريخ، قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة بدون تاريخ.
٨. جورج سارتون ،تاريخ العلم(العصر الذهبي لليونان)، الجزء الاول، ترجمة لفيف من العلماء، دار المعارف ،القاهرة ١٩٦٣.
٨. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ،دار القلم ،طبعة جديدة، بيروت بدون تاريخ.
٩. هنري فرانكفورت واخرون، ما قبل الفلسفة ، الانسان في مغامراته الفكرية الاولى ،ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، راجعه الدكتور محمود الامين ،منشورات دار مكتبة الحياة فرع بغداد ،بغداد ١٩٦٠.
١٠. ابن رشد(الوليد بن محمد) ،تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو، الجزء الاول، دار المشرق ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ١٩٥٧.
١١. محمد جديدي، الفلسفة الاغريقية، الدار العربية للعلوم ،منشورات الاختلاف، الطبعة الاولى، الجزائر ٢٠٠٩.
١٢. حامد حمزة حمد ،فلسفة التاريخ والحضارة، الطبعة الاولى ،دار ومكتبة قناديل للطباعة والنشر،بغداد ٢٠١٦.
١٣. عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، الطبعة الرابعة ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٩.